بَرَاءةُ الشَّيخ عَبدُ اللَّطيف الملَّا (الجد)

مِنْ عَبدِ الإِله الملَّا (الحفيد)



تَأليفُ:

عبدُالله بن سُليمَان العقل





٢٠٢٠م ١٤٤١هـ



بَرَاءةُ الشَّيخ عَبدُ اللَّطيف الملَّا (الجد)

مِنْ عَبدِ الإِله الملَّا (الحفيد)



تَأليفُ:

عبدُالله بن سُليمَان العقل

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرا.

أمَّا بعد:

فإنَّ فضل العلم والعلماء والسعي في تحصيله، مما تواترت به النُّصوص الشرعية؛ بل هو مِن أشرف ما خصَّ الله به النَّفس البشرية، وقد نفى الله المساواة بين العالم والجاهل، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

إنَّ فضل العالِم يكمن في العمل بما علم، وإلَّا فما تَعَلَّمَهُ حجة عليه، ووبال ينال منه الخزي والعار في الدُّنيا، والويل والثبور في الآخرة.

ولله درُّ القائل:

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ ... مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

روى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النَّبي ﷺ قال: «إنَّ أناسًا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النَّار فيقولون: بم دخلتم النَّار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنَّا كنا نقول ولا نفعل».

قال عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «مثل الذي يتعلم ولا يعمل، كمثل امرأة زنت في السر، فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد».

وروي أنَّ رجلا كان يخدم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكان يعظه، فلم يتعظ فدعا عليه، فخرج ففقده فلم يجد له أثر، حتى جاء رجل وبيده خنزير بحبل في عنقه، فقال: أتعرف فلانا؟ هو ذا، فسأل موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ربَّه أن يردَّه لحاله فيسأله، فأوحى الله إليه لو دعوتني بما دعاني آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، لكن أخبرك أنه كان يطلب الدُّنيا بالدُّنيا.

قال العَّارف البسطامي: «عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشد عليَّ من العلم وخطره».

روى الترمذي في سننه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله».

لذا فإنَّ طريق النجاة اليوم يكون بما جرت عليه الأمة المعصومة، من اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالحين من أهل المذاهب الأربعة المتبعة، الذين دوَّنت مذاهبهم ونقلت إلينا جيلًا بعد جيل، وذلك يكون في الفروع والأصول حسمًا للفوضى الدينية، وقطعًا للأهواء الفكرية، وإنَّ ما يعيشه المسلمون اليوم من الانحطاط له أسباب كثيرة، ولكن من أبرزها وأهمها: ضياع الهوية الدينية؛ لذا فإنَّ طريق النهوض بالأمة يبدأ من قول الله تعالى: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩].

واليوم وللأسف فقد ابتليت كتب التراث الأصيلة، بأناس جعلوها سلَّمًا للصعود للدرجات العلمية، وسلكوا في تحقيقها مسلك الكذب والتَّصحيف والحذف والتغيير، وذلك إمَّا بسبب هوى فكري أو طمع دنيوي أو نفاق اجتماعي، وقد تجتمع عند من طمس الله بصيرته، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

وقد أطلعني أحد طلاب العلم الشرعي على شرح لطيف لمنظومة "كفاية الغلام" للشيخ عبد اللطيف الملَّا الحنفي الماتريدي، والشَّرح والشَّارح ملتزم بما قرره صاحب المنظومة الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي الماتريدي النقشبندي القادري في الأصول والفروع، أي: العقيدة الماتريدية والفقه الحنفي.

ولكن للأسف قَدِ امتدَّت إلى هذا الكتاب يدٌ، بدَّلت وغيَّرت بدوافع الله أعلم بها، فتصرَّف في ترجمة الناظم، وعلَّق في تحقيقه رادًّا على الشَّارِح والنَّاظم في عدة مسائل عقدية، دون أن يبين لهم مستندًا أو دليلًا، وهذا مما يسقط الكتاب في الدراسة والتدريس، حينما تكون مسائله العقدية مسائل مبتدعة لا يجوز القول بها او اعتقادها؛ فلأجل ذلك ليته ظلَّ بعيدًا حتَّى لا تتبعه أوزار الغشِّ والتزوير كلما قُرِأَ الكتاب.

إنَّ محقق الكتاب الَّذي سيخلد التَّاريخ اسمه في سجلاته هو: **عبد الإله بن محمد الملَّا الإحسائي**، وللأسف أنَّ شارح المنظومة الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا هو جده من جهة النسب، ولكن ليس بينهما صلة من جهة رحم العلم، وإنَّه مما يؤسف له أن يخرج مثل هذا الطائش من بيوت تعرف بالعلم، ولكن كما قال الفقيه المالكي سحنون: «أشقى الناس من باع آخرته بدنياه، وأشقى منه من باع آخرته بدنيا غيره».

ولله درُّ القائل:

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلالَةِ بِالهُدَى　　　وَمَنْ يَشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّيْنِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مَنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِيْنَهُ　　　بِدُنيَا سِوَاهُ فَهوَ مِنْ ذَيْنِ أَعْجَبُ

وهذا أوان الشروع في المقصود، وأسأل الله تعالى أنْ يوفقنا للإخلاص في الأقوال والأفعال، وأنْ يرزقنا العلم النَّافع، والعمل الصالح بمنِّه وكرمه اللّٰهُمَّ آمين.



تدليس المحقق في ترجمة النَّاظم الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

للأسف لم تسلم ترجمة النَّاظم الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التدليس والتصرف من فعل محقق "نيل المرام" «عبد الإله الملا»، فقد نقل من "سلك الدرر" ولكنه للأسف حذف وتصرف ما لا يهواه، وكأنَّ النقل من كتب التراث عند هذا الأستاذ المشارك بانتقائية وهوى، وليس أمانة وصدقا في نقل المحتوى، حيث نقل من "سلك الدرر" في ترجمة الناظم: «..أستاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة الإمام الوحيد الهمام الفريد العالم العلامة الحجة الفهامة البحر الكبير الحبر الشهير شيخ الإسلام صدر الأئمة الأعلام صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقا وغربا وتداولها الناس عربا وعجما ..».

وبعد الرجوع إلى النص المنقول من "سلك الدرر" وجدناه كالآتي، ونترك الحكم للأخ القارئ.

جاء في "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" (٣/ ٣٠): "الشَّيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم، المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفي الدمشقي **النقشبندي القادري**، استاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة **الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف**، الإمام الوحيد الهمام الفريد العالم العلامة، الحجة الفهامة البحر الكبير الحبر الشهير شيخ الإسلام، صدر الأئمة الأعلام صاحب

المصنفات التي اشتهرت شرقًا وغربًا، وتداولها الناس عجمًا وعربًا **ذو الأخلاق الرضية والأوصاف السنية، قطب الأقطاب الذي لم تنجب بمثله الأحقاب، العارف بربه والفائز بقربه وحبه، ذو الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة.**

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وعلى كل حال فهو الذي لا تستقصي فضائله بعبارة، ولا تحصر صفاته وفواضله بإشارة، والمطول في مدح جنابه مختصر جدًا، والمكثر في نعت صفاته مقل".

فمن لم يؤتمن من النقل من كتاب مطبوع ومتداول، هل يؤتمن في تحقيق المخطوطات وكتب التراث؟.



إخفاء محقق "نيل المرام" لعقيدة جدِّه المفتي الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا

حينما ذكر الحفيد العاق منهج جدّه في شرحه لـ"كفاية الغلام"، ذكر أنَّ الشَّارح قسم شرحه إلى أبواب (العقيدة، الصَّلاة، الزَّكاة، الصَّوم، الحج) كما هو في المنظومة، ثم ذكر أن المسائل الفقهية تمَّ تقريرها على رأي المذهب الحنفي، وأخفى منهجية الشارح في المسائل العقدية! وكان الواجب عليه أن يذكر الحقيقة التي لا يمكن أن تحجب، وهي أنَّ النَّاظم والشَّارح كلاهما ماتريديان، كما هو مسطور في المنظومة والشرح، والعقيدة الأشعرية والماتريدية كانت هي السائدة في عصر المؤلف؛ بل وفي كافة العصور الإسلامية، كما نجده من واقع كتب التراث في شتى الفنون، فالنسبة لهذه العقيدة إن لم تكن مصدر فخر للحفيد العاق، كان الواجب ألَّا يخجل منها، ولكن قاتل الله النفاق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



استدراك الحفيد العاق على جدِّه في مسألة التَّوسل بالنَّبي ﷺ

قال الشَّارح الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته لشرحه على "كفاية الغلام" (صـ٣٨): «فالله اسأل، وبنبيه المصطفى أتوسل أن يجعله من العمل المقبول، وأن ينيلني به كل مأمول إنه جدير بإجابة بالسؤال، وأن يجعل تأليفي خالصًا لوجهه الكريم، موجبًا للفوز لديه في جنات النعيم».

فعلق الحفيد العاق وقال: «التَّوسل بالنَّبي ﷺ في الدعاء مختلف فيه بين العلماء، وتعد هذه المسألة من المسائل الفقهية المختلف فيها؛ لا من المسائل العقدية كما يظن كثير من الناس».

أقول : التَّوسل بالنَّبي ﷺ مسألة وقع الخلاف فيها، ولكن الخلاف ليس خلافًا معتبرًا، إذ أن عمل المذاهب الأربعة والمحدثين على جواز التوسل من غير نكير، كما هو في كتب المناسك وغيرها، ووقع خلاف في عصر الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكنه انتهى في وقته، ثم جدد الخلاف بعد ذلك، رغم أن أقوال المانعين لا توازي أقوال المجيزين لا من جهة الدليل، ولا من جهة الكثرة، ألا ترى إلى كتب الحنابلة ونصوصهم في التوسل بالنَّبي ﷺ والصالحين، رغم أنَّ المانعين ينتمون لهذا المذهب ، وكان الواجب على الحفيد أن لا يتعامل مع كلام جَدِّه بهذا المنهج. فسبحان قاسم العقول.

تنزيه الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا الحقَّ سبحانه عن الاستقرار ورد الحفيد العاق عليه

قال الشَّيخ المفتي عبد اللطيف الملَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "نيل المرام" (صـ٥٨) في معرض شرحه قول النَّاظم النَّابلسي:

وَلَيْسَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ لَا وَلَا   تُدْرِكُهُ العُقُولُ جَلَّ وَعَلا

(وليس يحويه) أي: يضمه ويجمعه ويحيط به (مكان) أي: جهة من الجهات الست، وما ورد في القرآن من ذكر الاستواء فالمراد به: استواء يليق به، ولما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ذلك قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأمر بالسائل فأخرج».

وبعضهم حمله بمعنى: استولى، كما قال الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ   مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

فالواجب على كل أحد الإيمان به بلا كيف، وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف.

وللأسف هذا الكلام لا يوافق هوى الحفيد العاق، فلذلك بَدَلَ أنْ يسلك مسلك التحقيق والدراسة الموضوعية لهذه المسألة، ردَّ على جدِّه المفتي والمتوفى عام: (١٣٣٩هـ) وتعقبه بواسطة النقل من كلامٍ للشيخ محمد العثيمين المتوفى سنة: (١٤٢١هـ)، ومعلوم أن الشَّيخ العثيمين

والشَّيخ عبد اللطيف الملَّا كلا منهما ينتمي لمدرسة فكرية تغاير وتباين المدرسة الأخرى في فهم النصوص، ومواضع وكذا في موانع الاستدلال بها، فلأجل ذلك كان الواجب على الأستاذ المشارك مراعاة هذا الأمر جيدًا وبيانه، حتى تكون الصورة واضحة للقارئ الكريم.

قال الحفيد العاق معلقًا (صـ٥٨): «يقول الشَّيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح كلام الإمام مالك السابق: قوله: «الاستواء معلوم» أي: معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، وله معان بحسب اطلاقه وتقييده بالحرف، فإذا قيد بـ"على" كان معناه العلو والاستقرار، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

فاستواء الله على عرشه: علوه عليه علوًّا حسيًا يليق به، على كيفية لا نعلمها، وليس هو العلو المطلق على المخلوقات.

وقوله: (والكيف مجهول) أي: أن كيفية استواء الله على عرشه مجهولة لنا؛ لأن الله أخبرنا أنه استوى ولم يخبرنا كيف استوى».

أقول: سأنقل فهم الأئمة العلماء من مفسرين وغيرهم لكلام الإمام مالك، ولقول الحق سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

قال ابن جرير الطبري في تفسيره "جامع البيان" (١/ ٤٢٩): «اختلف متأوِّلوا الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع، في الذي استوى إلى السَّماء. فقال بعضهم: الذي استوى إلى السماء وعلا عليها، هو خالقُها ومنشئها. وقال بعضهم: بل العالي عليها: الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء».

قال أبو جعفر: الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه:

منها: انتهاءُ شباب الرجل وقوَّته، فيقال إذا صار كذلك: قد استوى الرَّجُل.

ومنها: استقامة ما كان فيه أوَد من الأمور والأسباب، يقال منه: استوى لفلان أمرُه، إذا استقام بعد أوَدٍ. ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم:

طَالَ فِي رَسمِ مَهدَدٍ أَبَدُهْ   وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهْ

يعني: استقام به.

ومنها: الإقبال على الشيء، يقال: استوى فلانٌ على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه.

ومنها: الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة، بمعنى: احتوى عليها وحازَها.

ومنها: العلوّ والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره، يعني: به علوَّه عليه.

وأوْلى المعاني بقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]، علا عليهن وارتفع، فدبرهنَّ بقدرته، وخلقهنَّ سبع سماوات.

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى: العلو والارتفاع، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك - أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر.

ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه! فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ﴾: أقبلَ، أفكان مُدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أنَّ ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقُلْ: علا عليها علوَّ مُلْك وسُلْطان، لا علوَّ انتقال وزَوال. ثم لن يقول في شيء من ذلك قولًا إلا ألزم في الآخر مثله. ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفًا، وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى».

وقال الإمام القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٢٥٤):

والاستواء في اللغة: الارتفاع والعلوُّ على الشيء، ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

فَـأَوْرَدْتُهُمْ مَـاءً بِفَيْفَـاءَ قَفْـرَةٍ ... وَقَدْ حَلَّقَ النَّجْمُ اليَمَانِيُّ فَاسْتَوَى

أي: ارتفع وعلا، وَاستوت الشمس على رأسي، وَاستوت الطير على قمَّةِ رَأسي، بمعنى: علا. وهذه الآية مِنَ المشكلات، وَالناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه قال بعضهم: نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسِّرها، وذهب إليه كثير مِنَ الأئمَّة، وهذا كما روي عَنْ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ رجلًا سأله عَنْ قوله تعالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، قال مالكٌ: الاستواءُ غير مجهولٍ، والكيفُ غير معقولٍ، والإيمانُ بِهِ واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ، وأراك رجلَ سوءٍ! أخرجُوهُ.

وقال بعضهم: نقرؤهَا ونُفَسِّرُهَا على ما يحتمله ظاهر اللُّغَةِ. وهذا قولُ المشبِّهة.

وقال بعضهم: نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها.

وقال الفراء في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: الاستواء في كلام العرب على وجهين، أحدهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان

وجهان، ووجهٌ ثالثٌ أن تقول: كان فلانٌ مقبلًا على فلان، ثم استوى علي وإلي يشاتمني، على معنى أقبل إلي وعلي. فهذا معنى قوله:" ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ والله أعلم.

قال وقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ثم استوى إلى السماء صعد.

وهذا كقولك: كان قاعدًا فاستوى قائمًا، وكان قائما فاستوى قاعدًا، وكل ذلك في كلام العرب جائزٌ.

وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين: قوله: «استوى» بمعنى: أقبل صحيحٌ؛ لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء، والقصد هو الإرادة، وذلك جائزٌ في صفات الله تعالى.

ولفظة "ثم" تتعلق بالخلق لا بالإرادة. وأما ما حكي عن ابن عباس فإنما أخذه عن تفسير الكلبي، والكلبي ضعيفٌ.

وقال سفيان بن عيينة وابن كيسان في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قصد إليها، أي: بخلقه واختراعه، فهذا قولٌ. وقيل: على دون تكييف ولا تحديد، واختاره الطبري.

ويذكر عن أبي العالية الرياحي في هذه الآية أنه يقال: استوى بمعنى: أنه ارتفع.

قال البيهقي: ومراده من ذلك- والله أعلم- ارتفاع أمره، وهو بخار الماء الذي وقع منه خلق السماء. وقيل: إن المستوي الدخان. وقال ابن عطية: وهذا يأباه وصف الكلام. وقيل: المعنى استولى، كما قال الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

قَالَ ابْنُ عطية: وهذا إنما يجئ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. قلت: قد تقدم في قول الفراء علي وإلي بمعنى. وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في سورة "الأعراف" إن شاء الله تعالى. والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع الحركة والنقلة. انتهى من تفسير القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وجاء في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦): قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري ، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإنَّ الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]؛

بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري-: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر». وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى».

وقال الراغب الأصفهاني في كتابه: "المفردات في غريب القرآن" (صـ٤٣٩) في مادة «سوا»: «متى عدّي بعلى اقتضى معنى الاستيلاء، كقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]».

فليت الأستاذ المشارك! حقق في هذه المسألة قبل أن يتعقب كلام جده المفتي، ويرد كلامه الذي استقاه من كلام الراسخين من أهل العلم، وهو معروف ومشهور ومتداول، ولكنه للأسف يسلك مسلك الغش والتدليس في كتاباته ظانًا أنَّ أفعاله تنطلي على طلاب العلم، وما درى أنه مفضوح مهما توارى واستتر. ولا حول ولا قوة إلا بالله.



رَدُّ الحفيد العاق على جدِّه الشَّارح في صفة الكلام

قال الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "نيل المرام" (صـ٧٣) في معرض شرحه للبيت السابع عشر من منظومة "كفاية الغلام":

لَهُ كَلامٌ لَـــيْسَ كَالمَعْـــرُوفِ   جَلَّ عَنِ الأَصْوَاتِ وَالحُرُوفِ

له سبحانه وتعالى كلام وهو: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى لا يفارقها، ليس بحرف ولا صوت، مناف للسكوت والآفة، هو به آمر ناه، مخبر، يدل عليه بالكلام الحرفي.

وهذا الكلام الحرفي الحادث الدال على ذلك المعنى القديم كلام الله باتفاق أهل السنة.

ورد الحفيد الأستاذ المشارك على جده المفتي فقال: «المنقول عن أئمة السلف وعلماء الحديث في صفة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع كما يليق بجلاله، وان نوع كلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذه الصفة بخلاف صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ثم أحال على شرح العقيدة الطحاوية (٢٦٦/١)، وشرح الفقه الأكبر (صـ٤٧).

والجواب: إن هذا الحفيد عزى هذا الكلام إلى شرح "العقيدة الطحاوية"، وشرح "الفقه الأكبر"، وهذا من غشه وتدليسه، ثم إنه لم يعين أي شرح للطحاوية فإن كان يقصد به شرح الشَّيخ عبد الغني الميداني على الطحاوية فهو مطبوع وليس فيه هذا الكلام، وإن كان يقصد به شرح ابن أبي العز على الطحاوية فكذلك المرجع لا يعينه في العزو إليه، لا سيما أن شرح ابن أبي العز رغم توسعه، لا يعتبر مرجعًا يصح النقل منه في فهم مذهب السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ولنتأمل تعقيب ملا علي قاري عليه في شرحه على "الفقه الأكبر" (صـ٢٥٠) حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولقد أخطأ شارح عقيدة الطحاوي في هذه المسألة حيث قال: فهل يعقل رؤية بلا مقابلة؟ وفيه دليل على علوه على خلقه انتهى.

وكأنه قائل بالجهة العلوية لربه، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه سبحانه لا يرى في جهة، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» تشبيه للرؤية بالرؤية في الجملة، لا تشبيه المرئي بالمرئي من جميع الوجوه». انتهى كلام القاري.

وأما عزوه لشرح "الفقه الأكبر" فيتعين أنه شرح القاري عليه؛ لأنه هو المقصود عند الاطلاق، وهذا من تدليس هذا الحفيد العاق في استدراكه على جده المفتي، حيث إن القاري نقل كلام شارح الطحاوية

في تعدد المذاهب في مسألة الكلام، ولكنه لم يكن مقرًّا له في توصيف المذهب الحق، حيث إنه قال في نفس المبحث (صـ٧٠): «والكلام : أي من الصفات الذاتية، فإنه سبحانه متكلم بكلامه الذي هو صفته الأزلية المعبر عنا بالنظم المسمى بالقرآن المركب من الحروف، وذلك أن كل من يأمر وينهى ويخبر بخبر يجد من نفسه معنى، ثم يدل عليه بالعبارة أو الكتابة أو الإشارة ...الخ، ويسمى هذا الكلام نفسيًا، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن هذا المرام: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨]، وفي شعر الأخطل :

إِنَّ الكَلَامَ لَفِيْ الفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلَا

وقال عمر رضي الله عنه: إني زورت في نفسي مقالة.

والدليل على ثبوت الكلام: إجماع الأمة من الأئمة الأعلام، وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بأن أوحى إليهم بيان الأحكام، إلا أن كلامه ليس من جنس الحروف والأصوات، والله تعالى متكلم آمر ناه ومخبر، بمعنى: أن كلامه صفة واحدة، وتكثيره إلى الأمر والنهي والخبر، باختلاف التعلقات بالعلم والقدرة وسائر الصفات، فإنها واحدة والتكثر والحدوث إنما هو في الإضافات، ويكفي وجود المأمور في علم الآمر.

والحاصل: أن هذا الكلام اللفظي الحادث المؤلف من الأصوات والحروف القائمة بمحالها يسمى: كلام الله والقرآن على معنى أنه عبارة عن ذلك المعنى القديم، كما وقع التصريح به في "التلويح".

ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته، وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلًا حتى قال: الجلد والقرطاس قديمان فضلًا عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة، ومكابرة للحس للإحساس؛ لتقدم الباء على السين في بسم الله ونحوه.

ثم نقل القاري كلام الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة في كتابه "الفقه الأكبر": «ويتكلم لا ككلامنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق». شرح القاري على "الفقه الأكبر" (صـ١٠٩).

فتأمل أخي القارئ في كلام ملَّا علي القاري وبين ما نسبه إليه هذا المدلس الكذاب، عامله الله بما يستحق، وليته بدل هذا الغش والتدليس، حقق في المسألة ونقل مذاهب العلماء وتوجهاتهم وأدلتهم بأمانة وإنصاف، ولكن قاتل الله النفاق.



تلاعب الحفيد العاق بمدلولات كلام جدِّه الشَّارح

قال الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا في "نيل المرام" (صـ٧٣): «وهذا الكلام الحرفي الحادث الدال على معنى ذلك المعنى القديم أيضًا كلام الله باتفاق أهل السُّنة».

أهل السنة والجماعة يطلقون كلام الله تعالى على:

أولا: المعنى القديم القائم بذاته سبحانه وتعالى والمنزه عن الحروف والأصوات، كما تقدم في المبحث السابق.

ثانيا: وكذلك يطلقون على القرآن الكريم وكذا التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، بأنها كلام الله تعالى باعتبار أنها دلت على المعنى القديم القائم بذاته سبحانه، والمعبر عنه في كتب أصول الدين بالكلام النفسي، أما الحروف والأصوات فهو سبحانه منزه عن الكلام بها؛ لأنها حادثة، ومتجددة باعتبار التعاقب، والقول بها له لوازم حذر منها العلماء ومن أهمها: قيام الحوادث بذات الله تعالى.

ولكن للأسف حرَّف الأستاذ المشارك كلام جده، فقال معلقًا: «كلام الجد رَحِمَهُ ٱللَّهُ السابق يفهم منه: أنه لا فرق بين الكلام النفسي والحروف النظم العربي فكلها كلام الله، وعن هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قيل إنه كله كلام الله تكلم به وبلغه عنه جبريل، كما

هو المعلوم من دين المرسلين كان هذا صريحًا بأنه لا فرق بين الحروف والمعاني وأن هذا كلام الله. مجموع الفتاوى».

أقول: إما هذا الحفيد لا يفهم مدلولات الألفاظ، أو أنه يخادع صغار الطلاب، ويدخل المذاهب المتباينة في منهجية واحدة في فهم النصوص، وفي كلا الحالتين هو ساقط من جهة الأمانة العلمية، والفهم بكلام العلماء ومناهجهم في أصول الدين، فكلام الشَّارح الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ صريح بأن الصفة القديمة لله تعالى هي: الكلام النفسي المنزه عن الحروف والأصوات، أما الحروف والأصوات فهي حادثة وهي تدل على كلام الله تعالى، وهذا يباين كلام الحفيد والنقل عن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولمزيد من الإيضاح أنقل كلام السيد محمد السنوسي التلمساني من كتابه "عقيدة أهل التوحيد" (صـ٢٢٨) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا عرفت مذهب أهل الحق في كلام الله تعالى عرفت أنَّ إطلاق السلف على كلام الله تعالى أنه محفوظ في الصدور، ونقرأه بالألسنة ومكتوب في المصاحف، لا يحمل على الحلول الذي فرغنا من بيان استحالته، بل لما كانت هذه الأشياء دالة على كلامه جَلَّ وَعَلَا، أطلق عليها كلامه من باب إطلاق اسم المدلول على الدال، وأطلق أنه موجود فيها أي: فهمًا وعلما؛ لأن الشيء له وجودات أربع: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان،

ووجود في اللسان، ووجود بالبنان وهو الكتابة، وبهذا تعرف أن التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، والكتابة غير المكتوب؛ لأن الأول من كل قسمين: حادث، والثاني: قديم، وهو كلام الله جَلَّوَعَلَا، والتلاوة والقراءة والكتابة متناهية، والمتلو والمكتوب لا نهاية له.

وبالجملة: فالإطلاقات اللفظية تابعة للنقل من حيث إطلاقها، ومعانيها تابعة للعقل من حيث الحمل عليها، فلا بد من فهمها على ما يصح، لا أن الألفاظ متبوعة مطلقا».

وجاء في "تحرير المطالب لما تضمنته عقيدة ابن الحاجب" (صـ١٤٧): «وما نقل عن الحنابلة من أنه "الكلام" هو المركب من الحروف الملفوظة، وأنها قديمة فجهالة محضة، ولتعلم أن الإمام أحمد مبرأ من هذا المعتقد، وإن كان المنتسبون إليه ينسبون إليه هذا القول، فذلك وهم محض وعدم فهم عنه».



ردُّ الحفيد العاق على جدِّه المفتي في تنزيهه الذَّات الإلهية عن صفة السُّكوت

قال الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا في "نيل المرام" (صـ٧٥): «وإذ قد عرفت ما يجب في حقه تعالى، فاعلم أنَّه يجب عليك معرفة ما يستحيل عليه تعالى، وهو أنَّه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منزَّه عن جميع صفات النقص، كأضداد ما تقدَّم مِن الصِّفات السلبية والثبوتية النفسية والمعنوية، لما تقرَّر من وجوبها له تعالى عقلًا وسمعًا، فلا يتصور ثبوت شيء من أضدادها له تعالى، إذ المستحيل ما لا يتصور في العقل ثبوته، فيستحيل عليه تعالى الحدوث والعدم وطروء العدم، وكونه تعالى غير واحد ذاتًا وصفةً وفعلًا، وكونه تعالى غير قائم بذاته، وكونه تعالى مماثلًا للحوادث، وكونه تعالى عاجزًا عن ممكن ما، وكونه تعالى موجدًا للشيء من العالم مع كراهته لوجوده أي: لعدم إرادته له، وكونه تعالى متصفًا بالجهل وما في معناه من الظن والشك والوهم والنسيان والنوم، وكونه تعالى متصفًا بالموت وهو: عدم الحياة، والصمم والعمى أي: عدم السمع والبصر، والبكم وهو: عدم الكلام، وفي معناه السكوت، وكونه أي: الكلام بالحرف والصوت».

أقول: وهذه العقيدة نصَّ عليها علماء أصول الدِّين في كتبهم، ولكن الحفيد العاق استدرك على جدِّه المفتي، فقال معلقًا: «وصفه تعالى بالسكوت ليس من صفات النقص، وقد ثبت في السُّنة وصفه

تعالى بالسكوت، وجرى ذكره في كلام الأئمة فلا تعارض بين اثباته وإثبات الكلام؛ لأن كلامه تعالى بمشيئته، فإن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم».

أمَّا الاستدلال لثبوت هذه الصفة من السُّنة والأثر فمن ذلك:

أولا: حديث أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته». حديث صحيح رواه النسائي برقم (٢٢٣)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/٣٧٥) وأقرَّه الذهبي.

ثانيا: أن الأئمة والفقهاء منذ القرون الأولى يقولون: هذا تكلم به الشارع، وهذا ما سكت عنه الشارع، ويقولون: دلالة المنطوق، ودلالة المسكوت، والشارع هو الله تعالى ورسوله ﷺ.

يقول شيخ الإسلام: «فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت». مجموع الفتاوى (٦/١٧٩).

أقول: في كلام هذا الحفيد الجاهل من الغش والتدليس ملاحظات عدة، وسنرد عليه برد إجمالي من كلام السيد التلمساني في "شرح العقيدة الكبرى" (صـ٢١٣)، والسيد الألوسي في "جلاء العينين"، ثم سنرد ردًّا تفصيليًا، قال السيد التلمساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واستحال على قدرته أن تحتاج إلى آلة أو معاونة، وعلى إرادته أن تكون لغرض، وعلى سمعه

وبصره وكلامه وإدراكه على القول به، أن يكون بجارحة أو مقابلة أو اتصال، أو يكون كلامه حرفًا أو صوتًا أو يطرأ عليه سكوت؛ لاستلزام جميع ذلك التغير والحدوث.

إشارة إلى مذهب الحشوية الذين وصفوا كلامه تعالى بالسكوت -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- بل لم يزل سبحانه متكلمًا ولا يزال، إذ لو جاز أن يسكت جَلَّ وَعَلَا عن كلامه لجاز أن يتصف كلامه بالعدم، وذلك يوجب حدوثه، وما ادعاه الحشوية من كون الكلام مع السكوت هوس لا حاصل له، إذ لا معنى للسكوت إلا انعدام الكلام، فإن كان السكوت قبل وجود الكلام لزم سبق العدم عليه، وذلك نفي لقدمه وإثبات لحدوثه، وإن كان بعد وجود الكلام فقد طرأ على الكلام العدم، وذلك نفي لقدمه وإثبات لحدوثه، وإن كان بعد وجود الكلام فقد طرأ على الكلام العدم، وذلك ينفي بقاءه، وإذا انتفى البقاء انتفى العدم، لما عرفت أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه، وينعكس بعكس النقيض الموافق إلى أن كل ما لم يستحيل عدمه لم يثبت قدمه، وإذا امتنع القدم أيضًا لزم ضده الذي هو الحدوث.

وبالجملة فالسكوت يستلزم عدم الكلام السابق وتجدد الكلام اللاحق، فيكون حادثًا بغير وسط، والسابق حادث بواسطة أن ما لحقه العدم لزم أن يسبقه العدم.

وإذا لزم من السكوت حدوث الكلام لزم منه حدوث الذات الموصوفة به، لما عرفت أن قيام الصفة الحادثة بشيء يوجب حدوث ذلك الشيء».

وفي "جلاء العينين" للسيد الألوسي (صـ٣٠٧): «وقوله تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي .... الخ. الحديث. وفيه دليل على أن للعبد كلامًا نفسيًا بالمعنيين، وللرب أيضًا كلامًا نفسيًا كذلك ولكن أين التراب، من رب الأرباب.

فالمعنى الأول: للحق تعالى شأنه صفة أزلية منافية للآفة الباطنية، التي هي بمنزلة الخرس بالتكلم الإنساني اللفظي، ليس من جنس الحروف والألفاظ أصلًا، وهي واحدة بالذات تتعدد تعليقاتها بحسب تعدد المتكلم به.

وحاصل الحديث: من تعلق تكلمه بذكر اسمي، تعلق تكلمي بذكر اسمه، والتعليق من الأمور النسبية التي لا يضر تجددها، وحدوث التعليق إنما يلزم في التعليق النتجيزي ولا ننكره، وأما التعليق المعنوي التقديري وتعلقه فأزليان، ومنه ينكشف وجه صحة نسبة السكوت عن اشياء «رحمة غير نسيان» كما في الحديث، إذ معناه: أن تكلمه الأزلي لم يتعلق ببيانها مع تحقيق أتصافه أزلًا بالتكلم النفسي، وعدم هذا التعليق الخاص لا يستدعى انتفاء الكلام الأزلي كما لا يخفى.

والمعنى الثاني: له تعالى كلمات غيبية، وهي: ألفاظ حكمية مجردة عن المواد مطلقًا، نسبية كانت أو خيالية أو روحانية، وتلك الكلمات أزلية مترتبة من غير تعاقب في الوضع الغيبي العلمي لا في الزمان إذ لا زمان، والتعاقب بين الأشياء من توابع كونها زمانية، ويقربه من بعض الوجوه وقع البصر على سطور الصفحة المشتملة على كلمات مترتبة في الوضع الكتابي دفعه، فهي مع كونها مترتبة لا تعاقب في ظهورها، فجميع معلومات الله الذي هو نور السماوات والأرض مكشوفة له أزلًا كما هي مكشوفة له فيما لا يزال. ثم تلك الكلمات الغيبية المترتبة وضعيًا أزليًا يقدر بينها التعاقب فيما لا يزال، والقرآن كلام الله تعالى المنزل بهذا المعنى، فهو كلمات غيبية مجردة من المواد، مترتبة في علمه أزلًا غير متعاقبة تحقيقًا؛ بل تقديره عند تلاوة الألسنة الكونية الزمانية.

ومعنى تنزيلها: إظهار صورها في المواد الروحانية والحسية من الألفاظ المسموعة والذهنية والمكتوبة. ومن هنا قال السنيون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مسموع بالآذان، غير حال في شيء منها، وهو في جميع هذه المراتب قرآن حقيقة شرعية معلوم من الدين بالضرورة».

أمَّا الرَّد التفصيلي على كلامه:

أولا: أورد حديث أبي الدرداء ﷺ، واستدلَّ به على ثبوت صفة السكوت لله تعالى، ومعلوم: أنَّ الحديث ظني الثبوت فمفاده الظن، وليس العلم القطعي، وصفات الحق سبحانه لا تثبت بما هو مظنون، والمسألة مذكورة في كلام أهل العلم ونحيل القارئ على كتاب "تدريب الراوي" للحافظ السيوطي.

ثانيا: استدلاله بالحديث على نسبة السكوت لله تعالى لا يستقيم، فالمراد من لفظة: «وسكت عن أشياء رحمة بكم» هو ترك إظهار الحكم، كما نبَّه على ذلك شراح الحديث.

قال ابن رسلان في "شرح سنن أبي داود" (١٠/ ٥٢٠): «معناه: إنما سكت عن ذكرها رحمة بعباده ورفقًا، حيث يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها؛ بل جعلها عفوًا، فإن تركها فلا حرج عليهم في تركها، وقوله: «فلا تبحثوا عنها»، أي: ولا تسألوا عنها، ويحتمل اختصاص هذا النهي من النَّبي ﷺ؛ لأنَّ السؤال عنها قد يكون سببًا لنزول التشديد بإيجاب أو غيره، ويحتمل أن يكون النهي عامًّا، فإن السؤال عما لم يذكر في الواجبات قد يوجب اعتقاد إيجابه؛ لمشابهته لبعض الواجبات، فقبول العافية فيه وترك السؤال خير».

والجواب عن استدلال هذا الجاهل بكلام الأئمة والفقهاء من قولهم: «هذا تكلم به الشارع، وهذا ما سكت عنه الشارع، ودلالة المنطوق، ودلالة المسكوت» فهذا معناه اظهار الحكم وبيانه وإبرازه إلى الوجود، سواء كان المقصود بالشارع الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أو الرسول الكريم ﷺ، ولو استقرأنا النصوص بفهم هذا الحفيد العاق للزم منه إثبات كثير من صفات النقص للحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كالنسيان، والمرض، والإزار والرداء وغير ذلك.

وهنا كلام نفيس للحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "دفع شبه التشبيه" (صـ٢٢٤) قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب:

إحداها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، أي: جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

المرتبة الثَّانية: التأويل وهو: مقام خطر على ما سبق بيانه.

المرتبة الثَّالثة: القول فيها بمقتضى الحس، وقد عم جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات، التي بها يعرف ما يجوز على الله وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس، وإليه أشار القاضي أبو

يعلى المجسم بقوله: «لا يمتنع أن تحمل الوطأة التي وطأها الحق على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات».

قلت: وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس، ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة، ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات، والعجب أنْ يقرَّ بهذا القول ثم يقول: من غير نقلة ولا حركة، فينقض ما يبني.

ومن أعجب ما رأيت لهم: ما أنبأنا أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش قال: أنبأنا أبو طالب العشاري، قال: أنبأنا البنا، قال: انبأنا أبو الفتح ابن أبي الفوارس، قال أنبانا أبو علي بن الصواف، قال: أنبأنا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنه قال في "كتاب العرش": «إنَّ الله تعالى قد أخبرنا أنَّه صار من الأرض إلى السماء، ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش».

قلت: ونحن نحمد الله إذ لم يبخس حظنا من المنقولات، ولا من المعقولات، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا، فعاب الناس كلامهم». انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

والحاصل: إن هذا الحفيد العاق شان كتاب جده بتعقيباته وردوده على جدِّه، وبأوجهٍ أوهى من بيت العنكبوت، ولا أدري ما الحامل له على إخراجِ كتابٍ خالف فيه مؤلفه في معتقده، وهل الدوافع دينية؟ أو دنيوية محظة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.



سوء أدب عبد الإله الملَّا مع العلَّامة الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي

قال الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي في منظومته "كفاية الغلام" في معرض ذكره لشروط الصَّلاة:

فَمِنْ شُرُوطِهَـا طَهَـارَةُ البَـدَنْ مِنْ حَدِثٍ أَكبَرَ وَهوَ غُسْلَ مَنْ

قال الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا في "نيل المرام" (صـ١١٠): «"حدث" وهي: النجاسة الحكمية، وتنقسم إلى قسمين: أصغر وهو: الوضوء، وسيأتي بيانه، وإلى" أكبر" وهو: الغُسل بضم الغين، وقدمه على الأول وإن كان الأول مقدمًا ثبوتًا وأكثر حاجة».

ومراد الشَّارح الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا أنَّ الناظم قدم الحدث الأكبر في النظم، وإن كان الأصغر مقدمًا من جهة الثبوت، والحاجة إليه بتكرره.

ولنتأمل الفرق بين أدب المفتي الجد الشَّيخ عبد اللطيف الملَّا، وسوء أدب حفيده عبد الإله حيث علَّق الحفيد قائلًا: «ما ذكره الجدُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الأولى، فالواجب على الشَّيخ عبد الغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبدأ في منظومته ببيان الحدث الأصغر؛ لتقديم القرآن له في آية الوضوء ولكثرة الاحتياج إليه من قبل الناس».

أقول: ما أقبح الجهل وما أقبح سوء الأدب، وهل يصح لمعاصر أن يتكلم مع عالم رباني سبقه بثلاثة قرون وكأنه مساو له أو دونه؟

أليس كان الواجب عليك أن تفهم أغراض المؤلفين من التقديم والتأخير وأسبابه، فمثلًا: نقول: قدَّم الحدث الأكبر؛ لكونه أهم من جهة سرعة الإزالة؛ لامتناع الجنب من تلاوة القرآن ودخول المسجد...الخ.

لا سيَّما أنَّ الإمام النَّابلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينفرد بهذا الإيراد من جهة الترتيب، ولو كان هذا المدلس تربَّى في حلقات الشيوخ لتعلم العلم ولتعلم الأدب، ولكنه بلوى من بلاء الزمان.

جاء في "منية المصلي" للكاشغري (صـ٣٠): «وأما الطهارة من الحدث: فالاغتسال، والوضوء عند وجود الماء والقدرة عليه، وعند عدمهما التيمم. ولكل واحد منهما فرائض وسنن وآداب ومناه».

فقدَّم الكاشغري المتوفى سنة: (٧٠٥هـ) الحدث الأكبر على الأصغر، فالواجب عليه عند هذا المعتوه أن يبدأ بالأصغر قبل الأكبر، وفي حقيقة الحال: أن للمؤلفين أغراض في التقديم والتأخير وأسباب كثيرة جديرة بالبحث؛ للوقوف على مقاصدهم بدل النقد غير المبرر من بعض المتطفلين على كتب التراث أمثال (الأستاذ المشارك!) ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الخاتمة

للأسف في هذه الصفحات يتبين لنا جليًّا المفارقات بين الجدِّ المفتي والحفيد، من جهة مخالفة الأخير لجدِّه في المعتقد والمنهج ...الخ.

وللأسف فإن أيَّ قارئ لكتاب الجدِّ بتحقيق الحفيد فإنَّ الكتاب لا يكون مقبولًا، فحينما ترد على الشَّارح في معتقده، وتنتقد النَّاظم في منهجيته، فأيُّ قيمة تبقت لهذا الكتاب، ورغم هذا كله لا يخفى أن العمر يفنى والشباب يبلى، ولكن تبقى الكلمة ويبقى الكتاب، وما سطره كاتبه تطارده ويلاته ولا تفارقه حسراته إلى أن يلقى الله تعالى، ويلقى ما اقترفه من غش وتدليس وتزوير للحقائق، ويقول له الحق سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤].

لذا فعلى الإنسان أن يعمل لما بعد الموت، فالدُّنيا ماضية والحقائق ثابتة، والشمس تغيب، وشمس الحقيقة تشرق من جديد.

وهذا ما تيسَّرت كتابته سائلًا المولى سبحانه التَّوفيق والسَّداد في الأقوال والأفعال والمقاصد، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرا.



جدول يبين مخالفات عبد الإله الملَّا لجدِّه المفتي الشَّيخ عبد اللَّطيف الملَّا

	الشَّيخ عبد اللَّطيف الملَّا	عبد الإله الملَّا (الحفيد)	الصفحة
المذهب	حنفي	يزعم أنه حنفي	١١
العقيدة	ماتريدي	اليوم سلفي وغدا...؟ حسب المصلحة	١١
	يتوسَّل بالنَّبي ﷺ	يرى أن التَّوسل مختلف فيه	١٢
	ينزِّه الله عن الاستقرار على العرش	يرى أن الله مستقر على العرش	١٣
	ينزِّه الله عن الحرف والصوت	يثبت لله الحرف والصوت	٢١
	ينزِّه الله عن وصفه بالسكوت	يثبت لله صفة السكوت	٢٨
	عالم مؤدب مع الشَّيخ النَّابلسي	سيء الأدب مع الشَّيخ النَّابلسي	٣٧
	عالم عامل بعلمه	متلون حسب المصلحة...	٣٩

الفهرس